

## دراسة التّخمیس<sup>۱</sup> و أنواعه بوصفه قالباً أدبياً مشتركاً بين الأدبیین الفارسیّ والعربیّ

علی صابری\*

### ملخص المقالة

إن القوالب الأدبية بكونها وسيلة لتنظيم عناصر الأدب و سببا للوحده العضوية في الأعمال الفنية قد نجدها كعنصر مشترك بين آداب الأمم المختلفة، و بما أن العلاقات الموجودة بين الأدبيين الفارسی والعربی عريقة جدا بالنسبة إلى الآداب الأخرى فنرى هذه الصلات المتبادلة والقوالب المشتركة بينهما أوثق و أوسع منها بين الآداب الأخرى؛ و من هذه القوالب المتبادلة قالب التخميس الذي استخدمه الأدباء في الأدبين مشتركاً، رغم ما من خلاف فيه لدى الشعراء الفرس والعرب، و هو يعد أحد العلاقات المشتركة عبر العصور، كما أن كلا الأدبين يشتركان في عوامل ظهور هذا القالب و نشأته، و إننا عالجنه في هذا المقال بوصفه صلة من الصلات المشتركة بين الأدبين الفارسی والعربی.

**الكلمات الرئيسية:** القالب الأدبي، تطور الأجناس الأدبية، الصلات الأدبية، المسمط، التضمين.

1. cinquain

Dr\_saberi\_43@yahoo.com

\*. عضو هیئت علمی دانشگاه آزاد اسلامی - واحد تهران مرکزی

## المقدمه

إن ما لا ينكر على أى دارس و أديب هو العلاقة الموجودة بين آداب الأمم المختلفة فى العالم. فالعلاقات الأدبية أو الصلات الأدبية<sup>١</sup> هى مصطلح يستعمل فى حيز الأدب المقارن ليشمل حركة الترجمة والتأثير والتأثر بين أديبين أو مؤلفين فى دولتين مختلفتين. كالصلات الأدبية بين الأديبين الهندى والفارسى فى العصر الساسانى، أو بين الفارسى والعربى فى العصر العباسى أو بين الإنكليزى والفرنسى فى الربع الأخير من القرن السابع عشر، و أقدم هذه العلاقات ترجع إلى ما بين الأدب اليونانى والأدب الرومانى.

فقد ازدادت هذه العلاقات فى القرون الأخيرة بسبب اتساع أفق الأدب إثر تحولات ثقافية مختلفة انتهت إلى تطورات أدبية مرتبطة بالتغيرات الاجتماعية، والسياسية، كاختراع وسائل المواصلات السريعة التى أصبحت أصرة قوية جعلت تهدم الحدود السياسية و تربط الأمم بعضها ببعض فى جميع أرجاء العالم و تحطّم النظرية القومية<sup>(١)</sup> المحلية لتوجّه الفنّ والأدب و جهة إنسانية شاملة. و ظهور الطباعة فى ساحة نقل الفكر و نشر الثقافة، حيث جعل الحجم الكبير من الكتب فى متناول الناس و شجّعهم على دراسة آداب الأمم الأجنبية، و حملهم على الكشف عن كنوز الآداب القديمة و ما بينها من الصلة<sup>(٢)</sup>.

و نشر الجرائد والمجلات، التى كانت تحتل المرتبة الأولى فى النهوض بالشعب فى ثقافته و أدبه، و هى تعدّ من أقوى عوامل العمل الفكرى الذى يقدر على أن يجمع بين الناس فى شتى أنحاء العالم و يجعل العالم قرية صغيرة عالمية. و نشاط حركة الترجمة، بوصفها تطورا ثقافيا فى المجتمع الإنسانى، قد لعبت دورا عظيما فى نقل الثقافات و ازدياد الصلات الثقافية بين أمم العالم، و اطلاع الشعوب المختلفة على الآداب الأجنبية بنقل نصوصها الأدبية، كما ترجم، مثلاً، ابن المقفع كليله و دمنة إلى العربية و شاتو بريان<sup>(٣)</sup> // الفردوس المفقود<sup>٢</sup> للشاعر الإنكليزى جون ملتون<sup>٣</sup> (١٦٧٤-١٦٠٨ م)، إلى الفرنسية.

1. literary relations  
3. John Milton

2. Paradise Lost

فانتقلت الآثار الفنية والإبداعات الأدبية عبر الترجمة إلى أمم أخرى. فبدأ الأدباء يشعرون بالتراث المشترك بين الشعوب العالمية و يتجهون نحو نزعة معروفة بالنزعة العالمية التي ترمي إلى اعتبار الإنسان أسرة واحدة، وطنها العالم، وأعضاءها أفراد البشر جميعاً، رغم اختلاف لغاتهم و انتمائهم إلى حدود جغرافية، من هؤلاء الأدباء فولتير<sup>(٤)</sup> و روسو<sup>(٥)</sup> و غوته<sup>(٦)</sup> و هم أعلام الفكر والأدب في عصر النهضة الأوروبية<sup>٢</sup>. (تراويك، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٢/٨٧٥، التونجي، ١٩٩٩ م.: ٢/٨٣٣؛ وهبه، ١٩٩٤ م.: ٣٩٥)

و هذا هو الذي جعلنا ندرس هذه العلاقة الموجودة بين الأدبين الفارسي والعربي دراسة مقارنة، إلا أننا حدّدنا نطاق بحثنا في القالب الأدبي دون القضايا المشتركة الأخرى كالمضامين الأدبية و غيرها.

### القالب الأدبي في رأي النقاد

إن ما يجدر بنا الآن قبل أن ندخل الموضوع الرئيسي هو أن ندرس القالب الأدبي و آراء النقاد فيه دراسة موجزة لتكون تمهيداً للموضوع المدروس. إن القالب الأدبي<sup>٣</sup> أو النوع<sup>٤</sup> أو الشكل<sup>٥</sup> هو الطريقة التي يستخدمها الأديب ليصبّ فيها إبداعه، و يعبر بها عن الفكرة التي تدور في نفسه، و هو يشتمل على الصياغة اللفظية، والوزن، والقافية والمحسنات البديعية؛ فالقصة قالب أدبي، و كذلك الرواية، والمسرحية، والمقالة و... قوالب أدبية.

فقد كان هذا التقسيم معروفاً لدى النقاد منذ القديم، إلا أنهم كانوا يطبقونه، في الأغلب، على الشعر دون النثر.

و أول من اهتم به هو أرسطو، الذي قسم الشعر إلى ثلاثة أنواع: الملهمة<sup>٦</sup> و المأساة<sup>٧</sup> و الملحمة<sup>٨</sup> ثم بيّن خصائص كل منها (أرسطو، ١٣٨٢ هـ. ش.: ١٢٠؛ دييجز، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٥٦)

1. cosmopolitanism  
3. literary form  
5. literary king  
7. tragedy

2. renaissance  
4. literary type  
6. comedy  
8. epic

معتمدا على المنهج العلمی وجودی<sup>(۷)</sup> أو المنهج المعیاری<sup>(۸)</sup>.

و هذه القوالب أحيانا تختلف عند كل أمة باختلاف معاييرها، فإن القوالب الأدبية حسب تصنيف بعض النقاد هي: الغنائی<sup>۱</sup>، والمَلْحَمِيّ<sup>۲</sup>، والتعليمی<sup>۳</sup>، والتَّمثِيلِيّ<sup>۴</sup>، الذي يشتمل على الملهاة والمأساة، كما نرى هذا التصنيف لدى النقاد العرب، يشمل فنّ الخطابة<sup>۵</sup> وفنّ الرّسالة<sup>۶</sup> وفنّ الشعر<sup>۷</sup> و... . أما الفرس فكانوا يصنّفونه حسب الشكل والمضمون إلى القطعة، والقصيدة، والغزل، والمثنوى وغيرها من الاشكال والمضامين.

غير أن هذا النظر إلى القوالب الأدبية قد تغير لدى النقاد المعاصرين حيث بدؤوا بتصنيف النثر، كما كانوا يصنّفون الشعر، و هي المَسْرَحِيَّة<sup>۸</sup>، والقِصَّةُ القَصِيْرَةُ<sup>۹</sup>، والرّوَايَةُ<sup>۱۰</sup>، والسِّيْرَةُ الترجمة<sup>۱۱</sup>، والقصة<sup>۱۲</sup>، والحكاية<sup>۱۳</sup>، والحكاية الرّمزيّة / الخرافة<sup>۱۴</sup>، والحكاية على لسان الحيوان<sup>۱۵</sup> وغيرها. و مما ينبغي لنا أن ننتبه إليه هنا، هو أن الاعتقاد السائد في الغرب، منذ عهد النهضة الأوروبية حتى أواخر القرن التاسع عشر، هو أن القالب الأدبي له قواعد خاصة لا بدّ للأديب أن يتقيد بها، وهذه القواعد هي طوابع يتميز بها كل جنس أدبي عما سواه، و ينبغي أن يظل منفصلا عن غيره، وهذا الرأي المعروف بالشكل الميكانيكي<sup>۱۶</sup> أو الشكل التقليدي<sup>۱۷</sup> يلائم أرا النقاد الكلاسيكيين الذين كانوا يلتزمون بالتقاليد الأدبية الشائعة في الأديبين العريقين اليوناني والروماني، التي أخذوها من الناقد اليوناني ارسطو<sup>۱۸</sup> (۳۲۲-۳۸۴ ق.م.) في كتابه فنّ الشعر<sup>۱۹</sup>، والناقد الرومي هوراس<sup>۲۰</sup> (۶۵-۸ ق.م.)، في كتابه فنّ الشعر<sup>۲۱</sup>، و هؤلاء ينكرون تطور القوالب الأدبية و نموها بصرف النظر عن التطورات الاجتماعية والتاريخية.

- |                          |                   |
|--------------------------|-------------------|
| 1. lyric                 | 2. epic           |
| 3. didactic              | 4. dramatic       |
| 5. elocution             | 6. letter writing |
| 7. poetics               | 8. drama/play     |
| 9. short story           | 10. novel         |
| 11. biography            | 12. story         |
| 13. tale                 | 14. fable         |
| 15. beast fable          | 16. mechanic form |
| 17. conventional form    | 18. Aristotle     |
| 19. <i>Peri Poetikes</i> | 20. Horace        |
| 21. <i>Ars Poetica</i>   |                   |

إلا أنه ظهرت في القرن التاسع عشر ثورة على هذا الاعتقاد إثر ظهور نظريته التطورية<sup>١</sup>، وخاصة بعد ما أظهر الناقد الفرنسي برونتيبير<sup>(٩)</sup> نظريته المعروفة «تطور الأجناس الأدبية»<sup>(١٠)</sup>، و يعتقد رواد هذه الحركة الأدبية أن الأدب ليس جامداً أبدياً كما قرر القدماء، وإنما هو كائن عضويّ حيّ يولد و يتطور و يموت، عبر التاريخ، بتطور الظروف الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية والنفسية، كما يدعى الشاعر الألماني فريدريش شليغل (ولك، ١٣٧٣ هـ. ش.: ١٥/٢ و ٣٥ و ٤٦)، و قد يبعث من جديد في شكل مختلف متأثراً بجنس آخر والمعطيات التي ينمو فيها.

و هذه الحركة المعروفة بالشكل العضوي<sup>٢</sup> كانت تلائم آراء رواد المدرسة الرومانتيكية<sup>٣</sup>، الذين كانوا ينادون ترك محاكاة الأنماط القديمة و تحطيم القواعد التقليدية الكلاسيكية، و إطلاق الحرية للتعبير عن نفسه الكاتب تعبيراً صادقاً. (راغب، ٢٠٠٣ م.: ١٨٦، ٣١٢، ٥١١؛ غنيمي هلال، ١٩٩٩ م.: ١٣٦؛ التونجي، ١٩٩٩ م.: ٣٣٢/١؛ وهبه، ١٩٩٤ م.: ١٠٩ و ١٤١؛ داد، ١٣٧٥ هـ. ش.: ٣٠٨؛ ميرصادقي، ١٣٧٣ هـ. ش.: ٢٤؛ ١٣٧٧ هـ. ش.: ١٨٥؛ شميسا، ١٣٧٨ هـ. ش.: ٣٦٠ و أنواع أدبي، ٢٤؛ رضايي، ١٣٨٢ هـ. ش.: ١٣٠)

إن «القالب» على أساس نظرية «التطورية» يحتل المرتبة الثانية في الأعمال الأدبية، إذ إن العمل الأدبي، من وجهة نظر أصحاب هذه النظرية، ينبت كبذرة و يتغذى بنواته و ينمو حتى يأخذ قالبه المناسب له و ينتهي الى وحدة أدبية معروفة بالوحدة العضوية<sup>٤</sup>. (ديجيز، ١٣٧٣ هـ. ش.: ١٨٠؛ التونجي، ١٩٩٩ م.: ٨٨١/٢؛ مقدادي، ١٣٧٨ هـ. ش.: ٥٩٩-٦٠١؛ غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٧٢ و ٣٧٣؛ رضايي، ١٣٨٢ هـ. ش.: ٣٥١؛ داد، ١٣٧٥ هـ. ش.: ٣١٤)

### قالب التخميس و معانيه في الأدبين

أما القالب الذي نحن بصدد دراسته الآن هو القالب الشعري المعروف في الأدبين العربي والفارسي ب «التخميس» الذي يعدّ نوعاً من التطور في القالب الأدبي القديم الذي اعتاده الأدباء، و هو، و إن لم يكن خطوة نحو الإبداع الأدبي، غير أنه، في الحقيقة، و ثمة نحو تحطيم

1. evolutionism  
3. romanticism

2. organic form  
4. organic unity

نظريه الشکل الميكانيكى أو التقليدى والعرف الأدبى<sup>۱</sup> فى كلى الأديبن، الفارسى والعربى و حركة نحو التطور فى القافيه المعتاده.

إلا أن التخميس قد يختلف معناه فى الأديبن و قد يتحدّ فيهما، فيعالجه بحثنا هذا أولا فى معناه المختص بالأدب العربى دون الأدب الفارسى، و هو قالب شعرى يتألف من مقطعات شعرية، فى كل مقطعة منها خمسة أشطر تنفق القافية فى الأربعة الأولى و تتغير فى الشطر الخامس (ابن رشيق القيروانى، ۱۹۸۸م: ۳۳۵/۱) كالتخميس التالى من ديوان الشاعر التونسى أبى القاسم الشابى (۱۹۳۴-۱۹۰۹م) (الشابى، ۱۹۹۷م: ۲۰۶):

### إلى الببل

رَثَلِ التَّغْرِيدِ شَعْرِيَا عَلَى سَمْعِ الزُّهُورِ  
وَأَثْرُكَ الرِّقَّةِ تَهْفُو حَوْلَ أَوْرَادِ الْعَدِيرِ  
فَعَرُوسُ النَّهْرِ قَدْ هَبَّتْ بِنَاغِيهَا الْخَرِيرِ  
وَتَصَبَّتْ نَسَمَةُ الْفَجْرِ الشَّعَاعَ الْمُسْتَطِيرِ  
مِثْلَ هَقَافِ الْغُيُومِ السَّابِحِ  
فِي ضِحَاهَا  
إِنَّ الْحَانَ الظَّلَامَ أَثْرَهُ الْمُكْتَبَةِ  
تَتَوَرَّى بِسُكُونٍ خَلْفَ تِلْكَ الْأَسْحَبَةِ  
سَمِّمِ الْوَرْدِ أَيْنِ اللَّوْعَةِ الْمُنتَحِبَةِ  
فَانشِدِ اللَّحْنَ رَخِيْمًا يَطْرُبُ الْكُونَ رَنِيْمَهُ  
وَادْفِنِ الْحَسْرَةَ فِي اللَّحْدِ الرَّحِيْبِ  
وَرُؤَاهَا

...

و هذه القافية تتكرر فى كل شطر خامس، كالمخمس التالى الذى أنشده إيليا أبوماضى

1. literary convention

(١٩٥٧-١٨٨٩م.) في رثاء أمين الريحاني (١٩٤٠-١٨٧٦م.) (أبوماضي، ١٩٩٩م. : ٢٤٣):

### ما زال في الأرض حيا

أَيُّ خَطْبٍ دَهَا فَبَاتَ الْمَهْجَرُ      مِثْلَ حَقْلِ مَرَّتْ عَلَيْهِ صَرَصَرُ  
ضَرَبْتُ عَقْدَ زَهْرِهِ فَتَبَعْتُ      وَ مَشَّتْ فَوْقَ عُشْبِهِ فَتَنَكَّرُ

بَعْدَ أَنْ كَانَ عَبْهَرِيًّا نَدِيًّا

قَدْ سَمِعْنَا، يَا لَيْتَنَا لَمْ نَسْمَعْ      نَبَا زَعَزَعَ الْقُلُوبَ وَ ضَعَّضَعَ  
فَجَزَعْنَا، وَ حَقْنَا أَنْ نَجْزَعَ      لِفِرَاقِ الْفَتَى الْأَدِيبِ الْأَلْمَعَ

وَ ذَرَفْنَا دَمْعًا سَخِينَا سَخِيًّا

...

و كذلك المخس التالي لخليل مطران (١٩٤٩-١٨٧٢م.) (مطران، لاتا: ٤١٢/٢):

### الجنين الشهيد

أَتَتْ مِصْرَ تَسْتَعْطَى بِأَعْيُنِهَا النَّجْلُ      وَ عَرَضَ جَمَالٍ لِأَيْقَاسٍ إِلَى مِثْلِ  
غَرِيْبَةٍ هَذَى الدَّارَ بِأَدْيِهِ الذَّلُّ      جَلَّتْ طِفْلَةٌ عَنْ مَوْطِنٍ نَاصِبٍ قَحْلِ

إِلَى حَيْثُ يُرْوَى النَّيْلُ بِاسِقَةِ النَّخْلِ

فَلَاخِيَّةٌ مَا دَرَّهَا تَدَى أُمِّهَا      سِوَى ضَعْفِهَا الْبَادِي عَلَيْهَا وَ هَمِّهَا  
وَ لَمْ تَتَنَاوَلْ مِنْ أَبِيهَا سِوَى اسْمِهَا      وَ مَا أَحْرَزَتْ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرَ يُنْمِهَا

وَ أَشَقَى الْيَتَامَى فَاقْدُ الْبِرِّ فِي الْأَهْلِ

...

أما التخميس في معناه المشترك في الأدبين فهو نوع من التسميط، والتسميط هو أن يقسم الشاعر شعره إلى مقطعات و يأتي بأبيات على قافية واحدة ثم يأتي بيت أو مصرع يخالف ما قبله في القافية و يعيد تلك القافية آخر كل قصيدة (ابن خلدون، ١٩٨٨م. : ٥٨٣؛ شمس قيس الرازي، ١٣٦٠ هـ . ش. : ٣٨٩) و هذه القافية المكررة تسمى «عمود القصيدة» (ابن رشيق القيرواني، ١٩٨٨

م. : ۳۳۴/۱) نحوالمسمط التالی من دیوان منوچهری (۴۳۲ هـ. ق) فی الأدب الفارسی (منوچهری دامغانی، ۱۳۷۵ هـ. ش. : ۱۷۹؛ همایی، ۱۳۶۱ هـ. ش. : ۱۷۲):

صبح نخستین نمود، روی به نظارگان	آمد بانگ خروس، مؤذن می خوارگان
روی به مشرق نهاد، خسرو سیارگان	که به کتف برگرفت، چادر بازارگان
قُومُوا شُرْبَ الصَّبُوحِ، یا أَبِهَا النَّائِمِينَ	باده فراز آورید، چاره بیچارگان
چاره ما بامداد رطل دمامد بود	می زدگانیم ما، در دل ما غم بود
می زده را، هم به می دارو و مرهم بود	راحت کژدم زده، کشته کژدم بود
با دو لب مشک بوی با دو رخ حور عین	هر که صبوحی کند با دل خرم بود

...

إلا أن التسميط لا يلتزم أن يكون مخمّسا دائما، بل إنه قد يأتي مسدّسا أو مربعا، نحوالمسمط التالی فی الأدب العربی:

و نَبْنِي كَمَا أَثَلُوا فِي الدُّوَلِ	نُمَجِّدُ ذِكْرِي الْجُدُودِ الْأَوَّلِ
إِذَا مَا مَشَيْنَا كَأَسْدِ الْعَرِينِ	و لَسْنَا نُبَالِي حُلُولَ الْأَجَلِ
و نَسْتَعْجِلُ الْخَطْبَ فَيَمْنِ طَعَى	نَهْبُ خِفَافًا لِيَوْمِ الْوَعَى
و عَادَ، بَغَيْرِ الْخَسَارِ الْمُبِينِ	فَمَا مِنْ عَشُومٍ عَلَيْنَا بَغَى

...

إلا أن للتسميط في الأدب العربي نوعا آخر يشبه التسجيع، وهو أن يقسم الشاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد مخالف لقافية البيت في الرابع (التبريزي، ۱۹۸۶ م. : ۲۵۸؛ مطلوب، ۲۰۰۰ م. : ۳۱۸) نحو:

و عِلْجٍ شَدَدَتْ عَلَيْهِ الْجَبَالَا	و حَرْبٍ وَرَدَتْ وَ تُعْرِ سَدَدَتْ
و ضَيْفٍ قَرَيْتَ يَخَافُ الْوَكَاالَا	و مَالٍ حَوَيْتَ وَ خَيْلٍ حَمَيْتَ

و قد يكون التخميس نوعا من التضمين<sup>۱</sup>، في البديع، والتضمين هو أن يُضمّن الأديب كلامه بيتا أو شطرا من شعر شاعر آخر (أنوشه، ۱۳۷۶ هـ. ش. : ۳۷۲) كما ضمّن سعدی الشيرازی (۶۰۶-۶۹۰ هـ. / ۱۲۹۱-۱۲۰۹ م.) شعره بيتا من الفردوسی و قال:

1. implication/quotation



چه خوش گفتم فردوسی پاک‌زاد که رحمت بر آن تربت پاک باد  
 «میازار موری که دانه کش است که جان دارد و جان شیرین خوش است»  
 أو كما فعل صاحب بن عبدالمطلب القاني (٣٨٥-٣٢٦ هـ. / ٩٩٥-٩٣٨ م.) بقوله:

إذا ضاقَ صدرى و خفتَ العدى تَمَثَّلْتُ بَيْنَا بحالى يَلِيقُ  
 «فبالله أبلغ ما أرتجى و بالله أدفع ما لا أطيق»

إلا أن التخميس يختلف عن التضمين في أن الشاعر يضيف ثلاثة أشطر قبل صدر بيت من شعر شاعر آخر، أو بعبارة أخرى يلتزم الشاعر أن يضمن كل قسم من قصيدته شطري من قصيدة شاعر آخر (همای، ١٣٦١ هـ. ش. : ٢١٢؛ أنوشه، ١٣٧٦ هـ. ش. : ١٢٣٤)، كما خمّس الشاعر غزل الشاعر الفارسی العراقی (حوالی ٦٨٨-٦١٠ هـ. ق.):

مَه من نقاب بگشا ز جمال کبریایی که بتان فرو گذارند اساس خودنمایی  
 شده انتظارم از حد، چه شود ز در درآیی «ز دو دیده خون فشانم ز غمت شب جدایی  
 چه کنم؟ جز این نباشد گل باغ آشنایی»

چه کسم؟ چه کاره‌ام من که رسم به عاشقانت؟ شرف است آن که بوسم قدم ملازمانت  
 به کمینه استخوانی که برد هما ز خوانت «همه شب نهاده‌ام سر، چو سگان، بر آستانت  
 که رقیب در نیاید به بهانه گدایی»

...

(انظر غزل العراقی فی دیوانه، ١٣٧٦ هـ. ش. : ٢٠٦)

التخميس بهذا المعنى هو قالب شعري مستحدث في كلا الأدبين الفارسي والعربي، و لم يستخدمه الأقدمون (ابن خلدون، ١٩٨٨ م. : ٥٨٣؛ الرافي، ١٩٧٤ م. : ٣/٣٨٤؛ همای، ١٣٦١ هـ. ش. : ٢١٢) و يمكن القول إن فضل التخميس ربما يعود، في الأدب العربي، إلى ابن داود المصري (٨٢٨ هـ.) الذي خمّس قصيدة كعب بن زهير (٢٦ هـ. / ٦٤٥ م.) المعروفة بـ«بانة سعاد»، و أنشد (المدني، ١٩٩٦ م. : ١٢٤):

قُلْ لِلْعَوَازِلِ مَهْمَا سِتُّمُوا قَوْلُوا فَلَيْسَ لِي بَعْدَ مَنْ أَهْوَاهُ مَعْقُولُ  
 نَادَيْتُ يَوْمَ النَّوَى وَالِدَّمَعُ مَسْبُولُ «بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ»

مُتِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولٌ»

...

أو كما خَمَسَ محمد بن عبدالقادر الواسطي (حوالی ۷۵۷-۸۳۸ هـ.) قصيدة البردة للبوصيري (۶۰۸-۶۹۶ هـ.) و أنشد:

يا هائِمَ القَلْبِ بَيْنَ البانِ والعَلَمِ      و هَامِلَ الدَّمْعِ حَتَّى صارَ كالعَلَمِ  
يا مازِجاً بالدِّمَا دَمْعاً على سَلَمِ      «أَمِنَ تَذَكُّرِ حَيْرانٍ بذي سَلَمِ  
مَزَجَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقَلَّةِ بَدَمِ  
أَمْ مِنْ حَمائِمٍ فَوْقَ البانِ قائِمَةٌ      مِنْ أرضِ نُعمانَ بالخَيراتِ عالِمَةٌ  
لِفِرْقِهِ الأهلِ والأَطانِ هائِمَةٌ      «أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِ كاظِمَةٍ  
و أومضَ البَرِّقُ في الظُّلَماءِ مِنْ إِصمِ»

...

أو كالخَمَسِ التالِي للشيخ بهائي في الأدب الفارسي (الشيخ بهائي، ۱۳۸۲ هـ. ش. : ۱۶۶):

تا کی به تمنای وصال تو یگانه      اشکم شود از هر مژه چون سیل روانه  
خواهد به سر آید شب هجران تو یانه؟      «ای تیر غمت را دل عشاق نشانه  
جمعی به تو مشغول و تو غایب ز میانه»  
رفتم به در صومعه عابد و زاهد      دیدم همه را پیش رخت راکع و ساجد  
در میکده رهبانم و در صومعه عابد      «گه معتکف دیرم و گه ساکن مسجد  
یعنی که تو را می طلبم خانه به خانه»

...

فكما بيّنا في الصفحات الماضية، هذا القلب الشعري قد ظهر و نما في كِلِي الأديبن متأخرا بالنسبة إلى كثير من القوالب المعروفة فيهما، و لا يعرف بالضبط من هو أول من اخترع هذا الفن الجديد، إذ إنه لم ينشأ إلا بعد ما عُنِيَ الشعراء بالتراث القديم و أرادوا أن يحيوا التقاليد الشعرية و يقلدوا الشعراء القدماء في فنونهم الجميلة و أغراضهم القربية من النفس، لفقدان عناصر الابتكار والإبداع في الأدب، و استيلاء الجمود على قرائح الأدباء في مناخ،

حيث اتّجهوا نحو الصناعة والمعارضة، فأقبلوا على قصائد الشعراء القدماء و أضافوا عليها ما تقتضيه الأجواء الأدبية والظروف السياسية والاجتماعية التي عاشوها في تلك الفترة الزمنية، و سجّلوا نواذر بلاغية و أضافوا لبديعيات الشعراء الماضين قبسات كثيرة، ليبتكروا، إثر هذه العوامل، منهجا شعريا يُنحى الشعر نحو الاقتباس والتشطير والتضمين والتخسيس و غيرها مما يساعدهم على هذا الاتجاه الأدبي الذي يمكن لنا أن نسميه المحافظة والتجديد في الشعر في مناخ سادته الجمود والانحطاط، حيث لا يطمع الأديب في أدبه تطورا و لا يطمح الشاعر في شعره تغييرا، ليزعزع سلطان الجمود والتخلف الذي رسا في المرفأ الشرقي منذ زمن، و يبحث عن مرفأ جديد، و هذه الحركة الأدبية تعد جرأة و تمردا على التقاليد المعتادة، و ابتعادا عن الجمود. فإن التخسيس بكونه قالباً أدبيا مستحدثا، كغيره من الفنون المستحدثة، كالמושح، والدوبيت، حافظ على قواعد الإعراب، واقتصر على مخالفته التقليد في الأوزان والقوافي و دعا به حركة تدب في كيان الآداب الشرقية لإنشاء خطوة نحو التقدم والنمو والازدهار، و توسيع خريطة أساليب الكلام و طرق البيان و تعميق المعاني، فيمكن أن نعتبر هذا التطور في القوالب الأدبية الخطوة الأولى نحو نشوء حركة الصراع بين القديم والجديد، والنزاع بين الماضي البالي والحاضر الطريف، فأصبح ظاهرة من الظواهر الأدبية والثقافية في تلك الفترة التي سيطر عليها الخرافة والجهل. و إننا حاولنا أن ندرس هذه الظاهرة الأدبية في هذا المجال الضيق دراسة موجزة، يمكن توسيعها للآخرين.

## الهوامش

1. النظرية القومية (nationalism) نظرية ترجع في الأدب إلى العلاقة العضوية بين الأديب و مجتمعه أو قومه أو وطنه، و هي تهتم بالمضمون القومي للعمل الأدبي أكثر من اهتمامها بشكله الفني. (راغب، ٢٠٠٣م. : ٥٠٠)
2. يوهان جوتنبرج (Johnn Gutenberg) الألماني (١٤٦٨-١٤٠٠م) هو أول أوروبي استخدم حروف الطباعة المنفصلة، و أنشأ مطبعة في بلدة «ماينز» (Mainz) مسقط رأسه، و طبع الكتاب المقدس المعروف بـ *Guttenberg Bible*، ثم أصبحت بلدته مركزا للطباعة. (دورانت، ١٣٧٨ هـ. ش. : ١٩١/٦)

۳. هو فرانسوا رينيه دو شاتوبريان (Francois René de Chateaubriand) (۱۸۴۸-۱۷۶۸م)، كاتب فرنسى كبير، من اعلام الحركة الرومانسية، فاق ادياء عصره. من آثاره كتاب الشهداء (Martyrs) الذى صور فيه انتصار المسيحية على الوثنية، و رحلة من باريس إلى بيت المقدس (Itinéraire de Paris a Jérusalem) و مذكرات ماوراء القبر (Memories from Beyond the Tomb). (دورانت، ۱۳۷۸ هـ. ش. : ۳۹۱/۱۱)

۴. فولتير (François-Marrie Voltaire) (۱۷۷۸-۱۶۹۴م). فيلسوف و مفكر فرانسى، و كاتب و روائى، يعتبر أكبر رجال الفكر فى القرن الثامن عشر.

۵. جان جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) (۱۷۷۸-۱۷۱۲م)، كاتب و فيلسوف فرنسى واسع الأفق، متعدد المعارف، ذو صلة وثيقة بالأدب و فنونه، و رائد للحركة الرومانسية الحديثة، من آثاره العقد الاجتماعى (The Social Contract/Social le Contrat) و إميل (Emile) (دورانت، ۱۳۷۸ هـ. ش. : ۳/۱۰). كان لآرائه أثر كبير فى تطور الديمقراطية الحديثة.

۶. جوهان غوته / جوته (Johann Wolfgang von Goethe) (۱۸۳۲-۱۷۴۹م)، هو شاعر و فيلسوف ألمانى، يعتبر أعظم الشعراء الألمان فى جميع العصور و كذلك كاتب، و روائى، و مسرحى، من اعلام الأدب العالمى.

۷. المنهج العلمى وجودى أو الأنطولوجى (ontological method)، هو نوع من دراسه الوجود، يدرس الكائن الحى فى ذاته مستقلا عن أحواله و ظواهره.

۸. المنهج المعيارى (normative method)، هو منهج دراسى يحاول أن يضع قواعد صارمة للموضوع لا يمكن الخروج عليها.

۹. فرديناند برونيتير (Ferdinand Brunetière) (۱۹۰۶-۱۸۴۹م)، أستاذ تاريخ الأدب و النقد فى مدرسه المعلمين العليا فى باريس، عارض المذهب الطبيعى و الحتمية الاجتماعية فى النقد، و انصرف إلى تأكيد التطورية (evolutionism) و تطبيقها فى دراسه الأدبية.

۱۰. تطور الأجناس الأدبية (evolution des genres)، نظرية قال بها برونيتير فى كتابه المشهور تطور الأجناس الأدبية فى تاريخ الأدب (L'évolution des genres dans l'histoire de la littérature) (۱۸۹۴-۱۸۹۰م)، متأثرا بنظريه التطور فى علم الحياة، و نظرية داروين (Charles Robert Darwin) (۱۸۸۲-۱۸۰۹م)، عالم طبيعة بريطانى، صاحب النظرية الداروينية. (التونجى، ۱۹۹۹م. : ۳۳۲/۱ و هبه، ۱۹۹۴م. : ۱۰۹ و ۱۴۱؛ و انظر أيضا ولك، ۱۳۷۳ هـ. ش. : ۲۶۰؛ راغب، ۲۰۰۳م. : ۱۸۶)

۱۱. فريدريش شليغل (Friedrich Schlegel) (۱۸۲۹-۱۷۷۲م)، شاعر و ناقد ألمانى.

## فهرس المصادر

- ابن خلدون، عبدالرحمن. ١٩٨٨م. المقدمة. دار احياء التراث العربي.
- ابن رشيق القيرواني. ١٩٨٨م. العمدة في محاسن الشعر و آدابه. تحقيق محمد قرقزان. ط ١. دار المعرفة.
- أبوماضي، إيليا. ١٩٩٩م. الديوان. شرحه حجر عاصي. ط ١. دار الفكر العربي.
- أرسطو. ١٣٨٢ هـ. ش. فن شعر (Poetics). ترجمة عبدالحسين زرین كوب. ط ٤. طهران: اميركبير.
- أنوشه، حسن. ١٣٧٦ هـ. ش. فرهنگنامه أدبی فارسی. ط ١. سازمان چاپ و انتشارات.
- التبريزي، الخطيب. ١٩٨٦م. الوافي في العروض والقوافي. ط ٤. دار الفكر.
- تراويك، باكر ب. (Trawick Buckner B.) ١٣٧٣ هـ. ش. تاريخ ادبيات جهان (The World Literature) ترجمة عربعلی رضایی. ط ١. طهران: فرزاد.
- التونجي، محمد. ١٩٩٩م. المعجم المفصل في الأدب. ط ٢. بيروت: دارالكتب العلمية.
- داد، سيما. ١٣٧٥ هـ. ش. فرهنگ اصطلاحات أدبی. ط ٢. انتشارات مرواريد.
- دورانت، ويليام جيمز (Durant, William James). ١٣٧٨ هـ. ش. تاريخ تمدن (The Story of Civilization). ط ٦. منشورات علمي - فرهنگي.
- ديچز، ديويدي (Daiches, David). ١٣٧٣ هـ. ش. شيوه های نقد أدبی. (Critical Approaches to Literature). ترجمة محمدتقي صادقيان و غلامحسين يوسفی. ط ٤. منشورات علمي.
- الرازي، شمس الدين محمد. ١٣٦٠ هـ. ش. المعجم في معايير اشعار العجم. تحقيق محمدبن عبد الوهاب قزوینی. ط ٣. زوار.
- راغب، نبيل. ٢٠٠٣م. موسوعة النظريات الأدبية. ط ١. الشركة المصرية العالمية للنشر.
- الرافعي، مصطفى صادق. ١٩٧٤م. تاريخ آداب العرب. دارالكتاب العربي.
- رضایی، عربعلی. ١٣٨٢ هـ. ش. واژگان توصيفی ادبيات. ط ١. فرهنگ معاصر.
- الشابي، أبو القاسم. ١٩٩٧م. الديوان. تعليق يحيى شامي. ط ١. دار الفكر العربي.
- شميسا، سيروس. ١٣٧٨ هـ. ش. نقد أدبی. ط ١. انتشارات فردوسی.
- الشيخ بهائي، محمد عاملي. ١٣٨٢ هـ. ش. الديوان. تحقيق سعيد نفيسي. ط ١. نشر زرین.
- العراقي، شيخ فريدالدين ابراهيم. ١٣٧٦ هـ. ش. الديوان. ط ٣. منشورات نگاه.
- غنيمي هلال، محمد. ١٩٩٩م. الأدب المقارن. ط ٣. دار العودة.
- مطران، خليل. لاتا. الديوان. طبعة جديدة. دار مارون عبود.
- المدني، ابن معصوم. ١٩٩٦م. تخميس قصيدة البردة. تحقيق حبيب آل جميع. ط ١. مؤسسة البقيع لإحياء التراث.
- مطلوب، أحمد. ٢٠٠٠م. معجم المصطلحات البلاغية و تطورها. مكتبة لبنان.

- مقدادی، بهرام. ۱۳۷۸ هـ. ش. فرهنگ اصطلاحات نقد ادبی. ط ۱. منشورات فکر روز.
- منوچهری دامغانی. ۱۳۷۵ هـ. ش. *الدیوان*. تحقیق محمد دبیرسیاقی. ط ۲. منشورات زوآر.
- میرصادقی، جمال. ۱۳۷۷ هـ. ش. *واژه‌نامه هنر داستان‌نویسی*. ط ۱. کتاب مهناز.
- میرصادقی، میمنت. ۱۳۷۳ هـ. ش. *واژه‌نامه هنر شاعری*. ط ۱. کتاب مهناز.
- ولک، رنه (Wallek, René) ۱۳۷۳ هـ. ش. *نظریه ادبیات (Theory of Literature)*. ترجمه ضیاء  
موحد و پرویز مهاجر. ط ۱. منشورات علمی فرهنگی.
- وهبه، مجدی. ۱۹۹۴ م. *معجم مصطلحات/الأدب*. مکتبه لبنان.
- همای، جلال‌الدین. ۱۳۶۱ هـ. ش. *فنون بلاغت و صناعات ادبی*. ط ۲. انتشارات توس.